

دور الأئمة في تعزيز الوسطية والأمن الفكري

أ/رمضان أولاد بلة

جامعة أحمد دراية، أدرار

حَيِّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾. ومما يؤكد أهمية هذا الدور - وأن يكون كبيرا -، حاجة الناس الفطرية للطمأنينة، مع تطور أدوات تنفيذ الجريمة التي هي تَبَع لتطور أفكار العنف والغلو والتطرف.

المطلب الأول: مدلولات العنوان

هذا العنوان الذي بين أيدينا يشتمل على ثلاث كلمات رئيسية وهي: «الأئمة»، و«الوسطية»، و«الأمن الفكري»، وفيما يلي أقدم بإيجاز مفاهيم لهذه الألفاظ:

أولاً: الأئمة

قال ابن فارس: (أَمَّ) وأما الهمزة والميم فأصل واحد، يتفرّع منه أربعة أبواب، وهي الأصل والمرجع والجماعة والدين، وهذه الأربعة

الوسطية والأمن الفكري من المواضيع المهمة والحيوية، لما يترتب على فهمهما وترسيخهما وتحقيقهما من نتائج إيجابية وثمار يانعة، دنيا وأخرى؛ وفي هذا العرض أقدم جانباً من هذا الموضوع الكبير، يتعلق بفئة دورها فعال وريادي في هذا الموضوع، ألا وهي فئة «الأئمة»، هؤلاء السادة النجباء العقلاء الفطناء النبهاء الذين يسمع لهم الناس، ويحترمونهم، ويجلونهم، ويطلبون دعاءهم، فهم قادتهم وقودتهم؛ وهم الذين يملكون من وسائل الاتصال الجماهيري ما لا يملكه غيرهم، فهم يخاطبون أشكالا وألوانا من فئات المجتمع؛ وهم كالصيب النافع الذي يروي الأرض العطشى فيبعث فيها الحياة ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ﴾

بين الحركة والسكون؛ هي التي تأخذ بالعزائم دون التجافي عن الرخص في مواطنها. وهي التي تطبق الثوابت دون إهمال للمتغيرات. تتعامل مع تحقيق المناطق في الأشخاص والأنواع، تقيم وزناً للزمان ولا تحكمه في كل الأحيان، تفرق بين المتماثلات وتجمع بين المتباينات، إعمالاً للحاجات وللمصالح وعموم البلوى والغلبة وعسر الاحتراز»⁽⁷⁾.

ثالثاً: الأمن الفكري

قال الراغب الأصفهاني: «أصل الأمن: طمأنينة النفس وزوال الخوف، والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصادر»⁽⁸⁾.

والخلاصة أن: «كل تفرعات هذه المادة ترجع إلى الطمأنينة، فالتصديق هو طمأنينة إلى ما يقوله المصدق، والأمانة ثقة وطمأنينة إلى المؤتمن، والأمان هو طمأنينة للمؤمن»⁽⁹⁾.

الأمن الثقافي للمجتمع يعني وجود قيم وتصورات تفرز ضوابط

مقاربة⁽²⁾. ثم قال: «والإمام: كل من اقتدي به وقُدِّم في الأمور. والنَّبِيُّ ﷺ إمام الأئمة، والخليفة إمام الرعية، والقرآن إمام المسلمين»⁽³⁾.

ثانياً: الوسطية

كيفما صرّفت هذه اللفظة، تجدها لا تخرج في معناها عن معاني العدل والفضل والخيرية، والنصف والبنية والمتوسط بين الطرفين⁽⁴⁾.

قال ابن فارس: «(وَسَطٌ) الْوَأْوُ وَالسَّيْنُ وَالطَّاءُ: بِنَاءٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى الْعَدْلِ وَالنِّصْفِ. وَأَعْدَلُ الشَّيْءُ: أَوْسَطُهُ وَوَسَطُهُ. قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾⁽⁵⁾. وَيَقُولُونَ: ضَرَبْتُ وَسَطَ رَأْسِهِ بِفَتْحِ السَّيْنِ، وَوَسَطَ الْقَوْمَ بِسُكُونِهَا. وَهُوَ أَوْسَطُهُمْ حَسَبًا، إِذَا كَانَ فِي وَاسِطَةِ قَوْمِهِ وَأَرْفَعَهُمْ مَحَلًّا. وَالْوُسُوطُ: بَيْتٌ مِنْ بُيُوتِ الشَّعْرِ أَكْبَرُ مِنَ الْمِظْلَةِ. وَيُقَالُ: الْوُسُوطُ مِنَ النُّوقِ كَالصَّفُوفِ تَمْلَأُ الْإِنَاءَ»⁽⁶⁾.

تعريف الإمام ابن بيه: «هي الميزان والموازنة والتوازن بين الثبات والتغير،

حماية المنظومة العقدية والثقافية والأخلاقية والأمنية في مواجهة كل فكر أو معتقد منحرف أو متطرف وما يتبعه من سلوك، ويحقق هذا المعنى الالتزام بالوسطية، لأنها تحول دون الشطط الذي يلحق بالفكر فيجعل صاحبه منحرفاً فكرياً⁽¹²⁾.

التوسط والاعتدال هو طريق الوحدة الفكرية ومركزها ومنبعها⁽¹³⁾.

ومن المصطلحات التي لها علاقة بالوسطية والأمن الفكري: الصراط المستقيم، الحنيفية: - وهي ميل عن الباطل واستقامة عن الحق، التوازن، النهي عن الغلو والتشدد والتنطع والإرهاب.

المطلب الثاني: أهمية الوسطية والأمن الفكري

الوسطية هي هذا الإسلام، وهي منهجه، وهي خاصية من خصائصه، والدليل على ذلك حديثان:

الأول: عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال ﷺ: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا

سلوكية من شأنها أن تشبع الأمن في النفوس وتجافي الجنوح في العنف⁽¹⁰⁾.

ويعرّف الأمن الفكري بأنه: سلامة النظر الذهني والتدبر العقلي للوصول إلى النتائج الصحيحة بلا غلو ولا تفريط بما يحقق للناس الاطمئنان على مكونات أصالتهم وثقافتهم النوعية ومنظومتهم الفكرية⁽¹¹⁾.

رابعاً: علاقة الأمن الفكري بالوسطية :

أجمل العلاقة بينهما في الآتي:

بداية أي انحراف وتطوره حتى يصل إلى التكفير لم يكن ليصل إلى هذا الأمر لولا الابتعاد عن المنهج الوسطي، فالابتعاد عن المنهج الوسطي هو بسبب خلل فكري قاده إلى عدم الفهم الصحيح للأدلة وعدم معرفة مقاصد الشريعة الإسلامية، وبالتالي يصل إلى انحراف فكري يتطور بعده إلى غلو أو تقصير. وعلى ذلك فالأمن الفكري يعني

الْوَسْطِ الْأَعْدَلِ، الْأَخِذِ مِنَ الطَّرَفَيْنِ
بِقِسْطٍ لَا مَيْلَ فِيهِ، الدَّاخِلِ تَحْتَ
كَسْبِ الْعَبْدِ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ عَلَيْهِ وَلَا
انْحِلَالٍ، بَلْ هُوَ تَكْلِيفٌ جَارٍ عَلَى
مُوَازَنَةٍ تَقْتَضِي فِي جَمِيعِ الْمُكَلَّفِينَ
غَايَةَ الْإِعْتِدَالِ، كَتَكْلِيفِ الصَّلَاةِ،
وَالصِّيَامِ، وَالْحَجِّ، وَالْجِهَادِ، وَالزَّكَاةِ،
وَعَبْرَ ذَلِكَ مِمَّا شُرِعَ ابْتِدَاءً عَلَى
غَيْرِ سَبَبٍ ظَاهِرٍ اقْتَضَى ذَلِكَ، أَوْ
لِسَبَبٍ يَزْجِعُ إِلَى عَدَمِ الْعِلْمِ بِطَرِيقِ
الْعَمَلِ»⁽¹⁷⁾.

الإسلام أَدَانُ كُلِّ أَسْبَابِ التَّطَرُّفِ،
فَقَدْ نَهَى عَنِ التَّكْفِيرِ، وَقَالَ: إِنْ تَكْفِيرُ
الْمُسْلِمِ كَقَتْلِهِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: «وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهُوَ كَقَتْلِهِ،
وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ»⁽¹⁸⁾.

ونَهَى عَنِ التَّشَدُّدِ فِي حَدِيثِ
أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ: «لَا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ
فَيُشَدِّدَ عَلَيْكُمْ، فَإِنْ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى
أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ»⁽¹⁹⁾.

ونَهَى الْإِسْلَامُ عَنِ الْغُلُوِّ فِي الدِّينِ
وَهُوَ الْمَعْبَرُ عَنْهُ بِالتَّطَرُّفِ فِي حَدِيثِ
ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «

مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَيْ الصِّرَاطِ
سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفْتَحَةٌ، وَعَلَى
الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرَخَّاءٌ، وَعَلَى بَابِ
الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ،
ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا، وَلَا تَتَعَرَّجُوا،
وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا
أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ،
قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ
تَلْجُهُ، وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ:
حُدُودُ اللَّهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفْتَحَةُ: مَحَارِمُ
اللَّهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ:
كِتَابُ اللَّهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ:
وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ»¹⁴.

وَالثَّانِي: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ:
خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ:
«هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ
وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ. قَالَ
يَزِيدٌ: مُتَفَرِّقَةٌ. عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ
يَدْعُو إِلَيْهِ»، وَقَرَأَ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ
مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾⁽¹⁵⁾،⁽¹⁶⁾.

يَقُولُ الشَّاطِبِيُّ: «الشَّرِيعَةُ جَارِيَةٌ
فِي التَّكْلِيفِ بِمُقْتَضَاهَا عَلَى الطَّرِيقِ

هو الفكر المشوه، والثقافة المألوسة، المأزومة، والفهم المغلوط للإسلام، وأريد أن أشدد، وأؤكد، على أن الأمر يتعلق بثقافة معينة، لأن النعمة السائدة، واللغة الوافدة، ترمي إلى التعميم، لتعلق الأمر بعنق الإسلام، بأصوله، وفروعه، أو على أقل تقدير لترمي بها مذهباً معيناً، ليصبح متهما جملة وتفصيلاً» ثم بعد أسطر يبين سمات تلك الثقافة المأزومة قائلاً: «تتميز بضيق الأفق، وعدم الاكتراث لرأي الآخر، والانغلاق الفكري، والتعصب، وعدم قبول الاختلاف، والحرفية في التفسير، وغياب فقه المقاصد، واختلال ميزان المصالح والمفاسد، مما نشأ عنه غلو في قضايا معينة»⁽²⁴⁾.

المعالجة الأمنية وحدها لا تكفي فلا بد من تصحيح الوضع بالفكر - والأئمة لا يملكون عصابات ولكن يملكون عصابة من العقلاء، ومن أنصع الأدلة على ذلك نتائج مناظرة ابن عباس رضي الله عنه للخوارج.

«إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوَّ فِي الدِّينِ»⁽²⁰⁾.

ونهى عن التنطع وهو كالغلو التجاوز للحدود في الأقوال والأفعال، ففي حديث ابن مسعود: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»، قَالَهَا ثَلَاثًا⁽²¹⁾.

وهذه الألفاظ الثلاثة تعني الابتعاد عن الاعتدال في الأفكار والأقوال وكل ذلك يخالف منهج الوسطية ويؤدي إلى التعصب والفتنة⁽²²⁾.

الأمن الفكري صمام أمان لاقتلاع جذور ظاهرة الإرهاب، لأن شجرة الإرهاب لاجتثاثها من عروقها واقتلاعها من جذورها من بستان الأوطان لابد من أعمال فؤوس الحكمة في جذوعها وغرس شجرة التسامح والتصالح في ربوعها، فالفكر الرديء لا يطرده إلا الفكر الجيد⁽²³⁾.

يقول الإمام ابن بيه: «وبالنسبة للإرهاب الحالي في العالم الإسلامي، فإن سبب الأسباب، وأس الأساس،

كيف يعطي غيره، وفاقد الشيء لا يعطيه، ومن لم يملك النصاب كيف يزكي؟ ثم إن المشتغلين بالتربية والتعليم يقولون بعد خبرة ومعاناة: إن المعلم - والإمام أكبر المعلمين وسيدهم - هو العمود الفقري في عملية التربية، وهو الذي ينفخ فيها الروح، ويجري في عروقها دم الحياة مع أن في مجال التعليم والتربية عوامل شتى، ومؤثرات أخرى كثيرة، من المنهج إلى الكتاب، إلى الإدارة، إلى الجو المدرسي، إلى التوجيه أو التفتيش، وكلها تشارك في التوجيه والتأثير بنسب متفاوتة.

ولكن يظل المعلم هو العصب الحي للتعليم، والإمام لا بد له أن ينتصر في معركته على الجهل والهوى والتسلط والفساد والغلو والتطرف والعنف، ولا يكون ذلك إلا بأسلحة لازمة في الدفاع والهجوم، وأول هذه الأسلحة الإيمان، ومن لوازمه وثماره الأخلاق وهو ثانيها، وثالثها: العلم أو الثقافة، والإمام بحق بحاجة إلى

المطلب الثالث: كيفية ترسيخ الإمام للوسطية والأمن الفكري
في هذا المطلب أقدم خطة لكيفية ترسيخ الإمام للوسطية والأمن الفكري من خلال مشروع بناء يتكون من: أسس ودعائم (الأرضية الصالحة)، ووسائل، وطريقة البناء (الممارسة والتفعيل)، والمهندس هو السيد الإمام.
أولاً: الأسس.

تتمثل أسس ودعائم دور الإمام في ترسيخ الوسطية والأمن الفكري في النقاط الثلاث الآتية:

الإخلاص: وهو أهم عامل للنجاح في هذا المشروع، وليستقيم صحيحاً على سوقه، وذلك بمراقبة نية العمل والقول: في أوله ووسطه وآخره، لأن النية شديدة الثقل على الإنسان.

زاد الإمام: أمر تكوين الإمام وإعداد الإعداد الجيد من الأهمية بمكان، وإلا أصيب المشروع بالخيبة والإخفاق، لأن الدعوة عطاء وإنفاق، ومن لم يكن عنده علم ولا ثقافة،

مجموعة من الثقافات هي: الثقافة الإسلامية، والثقافة الأدبية واللغوية، والثقافة العلمية، والثقافة التاريخية، والثقافة الإنسانية، والثقافة الواقعية. والمطلوب من الإمام الناجح أن يتمثل هذه الثقافات ويهضمها، ويكون منها مزيجا جديدا طيبا نافعا أشبه شيء بالنحلة التي تأكل من كل الثمرات، سالكة سبل ربها ذللا، ليُخْرِجَ منها بعد ذلك شرابا مختلفا ألوانه، فيه شفاء للناس، كما أن فيه آية لقوم يتفكرون⁽²⁵⁾.

سلاح الدعاء: وبعد الإخلاص والتسلح بالعلم، لابد من تمثيل قول الله ﷻ: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾⁽²⁶⁾.

سيدي الإمام إسأل الله ﷻ أن يعينك على ترسيخ مبادئ الوسطية والأمن الفكري، اسأله سبحانه أن يمدك بالقوة على فعل ذلك، اسأله أن يريك الحق حقا ويرزقك اتباعه، وأن يريك الباطل باطلا ويرزقك اجتنابه.

لا تسألن بني آدم حاجةً
وسل الذي أبوابه لا تحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله
وبني آدم حين يُسأل يغضب
قال سفيان بن عيينة: «لا يمنعن
أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه،
فإن الله ﷻ أجاب دعاء شَرِّ الخلق
إبليس لعنه الله: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى
يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾⁽⁷⁹⁾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ⁽⁸⁰⁾
إِلَى يَوْمٍ أُلُوفَتِ الْمَعْلُومِ⁽⁸¹⁾»⁽²⁷⁾.

ومن روائع القصص هنا قصة شخصياتها أربعة أئمة، فقد جمعت الرحلة بين ابن جرير، وابن خزيمة، ومحمد بن نصر المروزي، ومحمد بن هارون بمصر، فأرملوا ولم يبق عندهم ما يقوتهم وأضر بهم الجوع فاجتمعوا ليلة في منزل كانوا يأوون إليه، فاتفق رأيهم أن يستهموا ويضربوا قرعة فمن خرجت عليه القرعة سأل لأصحابه الطعام، فكانت على ابن خزيمة فقال لأصحابه: أمهلوني حتى أصلي صلاة الخيرة. قال فاندفع في الصلاة فإذا هم بالشموع وأناس من

الخطابة: وهنا إن أؤكد على شيء في الخطابة أؤكد على قاعدتي الخطاب البليغ وهما: الإقناع العقلي، والإشباع العاطفي، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾⁽³⁰⁾، فالحكمة هنا إشارة إلى الإقناع العقلي، والموعظة الحسنة إشارة إلى الإشباع العاطفي.

الدروس: عقد الدروس التعليمية فقها وسيرة وتفسيرا وتزكية، وربطها بواقع الناس، ودعوتهم إليها، ببيان أهميتها. وإعطائها الأهمية القصوى فليست النائحة كالثكلي!

التعليم القرآني: استثمار تعليم القرآن في ترسيخ الوسطية ومعالجة الغلو، من خلال التوجيه المباشر والغير مباشر، ومن خلال اليقظة والمتابعة⁽³¹⁾.

التلاقي: من خلال التزاور والتناصح، وتواصل الأئمة فيما بينهم، واستغلال الوسائل الحديثة حسب الطاقة والمقدرة لتعزيز المحبة

قَبِلَ والي مصر يدق الباب ففتحوا فقال: أيكم محمد بن نصر؟ فقليل هو ذا فأخرج صرة فيها خمسون دينارا فدفعها إليه، وكذلك للبقية، ثم قال: إن الأمير كان قائلا (نائما نوم القيلولة) بالأمس فرأى في المنام أن المحاميد (جمع محمد) جياع، فأنفذ إليكم هذه، وأقسم عليكم إذا نفذت أن تبعثوا إليه⁽²⁸⁾.

ثانيا: الوسائل.

الإمام يملك وسائل كثيرة لترسيخ مبدأ الوسطية والأمن الفكري وتعزيزهما، بل وتجديرها، فليحسن التعامل معها والعمل بها، من خلال اتخاذ السبل والتدابير بكل الوسائل الثقيفية وفي مقدمتها التعليم والتربية والإعلام الجماهيري لإيجاد تلك القيم والتصورات لضبط وكبح جماح النفوس الميالة إلى العنف وترجيح كفة التسامح وحسن تقبل الغير وباختصار إيجاد الروح الاجتماعية والتعايش البناء بين أفراد المجتمع⁽²⁹⁾، ومن الوسائل الآتي:

سيرته عليه الصلاة والسلام، ثم الترغيب في العلم وتهذيب النشء وتقديم طائفة من صغار التلاميذ يقومون بأناشيد أو يخطبون في حياته ﷺ⁽³⁷⁾.

دعوات الأفراح: بإجابتها لما في ذلك من التحالف والتآلف والتناصح. بل حتى الأقراح: ببيان كيفية التعامل مع المصيبة التعامل الصحيح، بالصبر والتسليم بقضاء الله وقدره. المقالات: في الصحف والمجلات العلمية وغيرها.

الكتب: إن كان للإمام قدرة على التأليف، وكذا من خلال رسائلهم للماجستير أو الدكتوراه، فعليهم أن يحرصوا على أن ينفعوا بها الأمة. المحادثات والمجالسات: وهنا وفيما سبق يكون التركيز والاهتمام بالشباب فهم عماد الأمة، هم الحاضر، وهم كل المستقبل.

وسائل الاتصال والتواصل الاجتماعي الحديثة: فيس بوك، تويتر، يوتوب...

وتبادل الخبرات بينهم، وقديما قالوا: إذا أحباب فاتهم التلاقي فما صلة أوفى من كتاب.

المحاضرات والندوات والمدخلات: وهذه أيضا لها أهميتها في تعزيز الوسطية والأمن الفكري. إحياء المناسبات الدينية والوطنية: وخصوصا شهر رمضان، فهذه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كانت تولي أهمية خاصة لشهر رمضان من خلال بعث العلماء إلى ربوع الوطن وإلى الأماكن الحساسة لإحياء القلوب بدروس الوعظ والإرشاد⁽³²⁾، وكذا إحياء ذكرى مولده ﷺ⁽³³⁾، وذكرى ابن باديس⁽³⁴⁾، ورأس السنة الهجرية⁽³⁵⁾، وإحياء ليلة الإسراء والمعراج النبوي الكريم⁽³⁶⁾... وغيرها.

يقول العلامة مبارك الميلي رحمه الله: «ومنذ ظهور الحركة الإصلاحية بوطننا أخذت الاحتفالات المولدية شكلا حسنا إذ ينتهز المصلحون فرصتها لبث المبادئ الإسلامية النقية، والحث على مكارم الأخلاق، وضرب الأمثال من

ثالثاً: طريقة البناء (الممارسة والتفعيل).

أجملها في النقاط الآتية:

1 - تبني الإمام هذا المنهج: وتحت هذا العنوان أشير إشارات، وأثير إثارات، تتمثل في الآتي:

- أن يفهم ويعي الإمام ثقل المهمة المنوطة به؛ فالأئمة ورثا الأنبياء والأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر.

قَدْ هَيَّوْكَ لِأَمْرِ لَوْ فَطِنْتَ لَهُ
فَارْبَابُ نَفْسِكَ أَنْ تَزْعَى مَعَ الْهَمَلِ

ويقول آخر:

خَلَقَ اللَّهُ لِلْحُرُوبِ رِجَالاً

وَرِجَالاً لِقِصْعَةٍ وَثَرِيدٍ

- احترام المرجعية الدينية للبلد - عقيدة وفقها وتصوفا - وهذا في إطار الخصوصية الحضارية؛ وقد نقل لنا الشيخ ابن عتيق كتب الفقه التي كان يُدرّسها ابن باديس لتلاميذه - وهو منهم :- «ويُدّرس الفقه من كتاب

الرسالة لابن أبي زيد القيرواني، أو كتاب أقرب المسالك، وكتاب الشيخ خليل على حسب مستويات الطلاب، يحاول في دراسته للفقه ربط الفروع بالأصول، ذاكرا مأخذها ومنشأ الخلاف بين الفقهاء على طريقة ابن رشد، وربما كان أوسع وأعمق في الاستدلال والاستنباط»⁽³⁸⁾.

- التمهيد: يقول الإمام ابن ييه: «إن اللامذهبية التي تجعل الحق واحداً، والفتوى كلاً مباحاً لكل شخص أن يجتهد ويفتي دون ضوابط أو كوابح من الكتاب والسنة ضاربا بأقوال الأئمة عرض الحائط من أشد دواهي هذا العصر وأسوأ معضلات الفكر»⁽³⁹⁾.

- الحلم والأناة: وقد قال عليه الصلاة والسلام لأشج عبد القيس: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاءُ»⁽⁴⁰⁾.

- أن يتمثل الوسطية في دروسه وخطابه، بل حتى في الدعاء وهو يدعو، فلا ندعو بالجملة على الكافرين، وإنما

وَإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي
وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لَمُخْتَلَفٌ جِدًّا
فَإِنْ أَكَلُوا الْحَمِي وَفَرَّتْ لِحُومِهِمْ
وَإِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدًا
وَإِنْ ضَيَّعُوا غَيْبِي حَفَظْتُ غَيْبَهُمْ
وَإِنْ هُمُ هَوُوا غَيْبِي هَوَيْتُ لَهُمْ رَشْدًا
وَإِنْ زَجَرُوا طَيْرًا بَنَحْسَ تَمْرُ بِي
زَجَرْتُ لَهُمْ طَيْرًا تَمْرُ بِهِمْ سَعْدًا
وَلَا أَحْمِلُ الْحَقْدَ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمْ
وَلَيْسَ رَئِيسُ الْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الْحَقْدَا

وعن جابر قال، قال رسول الله ﷺ
«مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا،
فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا،
وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ
عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَفْلُتُونَ مِنْ يَدِي»⁽⁴³⁾.
- الحكمة: التي يُراعى من خلالها
ظرف الحال وظرف الزمان وظرف المكان
وأحوال المخاطبين، مراعاة الضوابط
الشرعية في الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر، قال تعالى: ﴿يُوتِي الْحِكْمَةَ
مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾⁽⁴⁴⁾.

- تعزيز ثقافة الحوار مع
الآخر ومع الذات، وتعزيز ثقافة

ينبغي أن يتوجه الدعاء على من اعتدى
باعتبار عدوانه، قال تعالى: ﴿لُعِنَ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى
لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ
بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾⁽⁴¹⁾.

- الصبر، وعدم اليأس، والجود،
والإتقان، والإحسان، والدقة،
والثبوت، والرفق واللين...، وكلها
تدخل في سلاح الأخلاق.

2. التربية والتعليم:

- أن يتخذ شعاره مع الناس ما قاله
علي ﷺ، لمالك بن الأشتر لما ولاه
على مصر: «وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ
لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ
بِهِمْ. وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا،
تَعْتَبُ أَكْلَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ
لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي
الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلَلُ، وَتَعْرُضُ
لَهُمُ الْعُلَلُ، وَيُؤْتِي عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي
الْعَمَدِ وَالْخَطَأِ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ
وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ
يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ»⁽⁴²⁾.

قَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَا تَأْخُرُ عَنْ صَلَاةِ الْعَدَاةِ مِنْ أَجْلِ فَلَانٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ مِنْكُمْ مُنْفِرِينَ، فَأَيْكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ»⁽⁴⁷⁾.

التدرج: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خُمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَعْيَانِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»⁽⁴⁸⁾، وقد قال عمرو بن عبد العزيز لابنه عندما طلب منه أن يحمل الناس على

الاختلاف، وتعزيز ثقافة الأخوة، والتثبت في مسائل فتاوى الدماء والأموال والأعراض، وضبط المفاهيم والمصطلحات: مفهوم الجهاد، الولاء والبراء، التكفير، مفهوم الدار، الإرهاب، التشريع الجنائي الإسلامي، تصحيح مفهوم العبادات؛ ومحاربة أشكال التطرف والغلو، وبيان خطورة الكتب التي أساسها العنف دون تشخيص، يكتفى فقط بالتوصيف؛ وبيان خطورة التفسيق والتبديع والتكفير والتضليل، والسعي في علاج ثقافة العنف.

التيسير: قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾⁽⁴⁵⁾، وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «مَا خَيْرَ النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَأْتُمْ، فَإِذَا كَانَ الْإِثْمُ كَانَ أَبْعَدَهُمَا مِنْهُ، وَاللَّهُ مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتِي إِلَيْهِ قَطُّ، حَتَّى تُنْتَهَكَ حُرْمَاتُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ»⁽⁴⁶⁾، ومن مظاهره التخفيف في الصلاة مع الإتيان بأركانها وسننها، وتأمل في حديث أبي مسعود وفيه: أَنَّ رَجُلًا،

في زمانه ومكانه وبيئته، انظروا إلى
 شعيب عليه السلام أكبر مشكلة كان يعاني
 منها قومه تطفيف المكيال والميزان،
 ولوط عليه السلام قضية الفاحشة، وموسى
عليه السلام وجد طغيان المال في قارون
 وطغيان الربوبية في فرعون، وصالح
عليه السلام فتن قومه بالحضارة المادية؛
 ونحن اليوم نعيش تحديات كبيرة.
 - السعي إلى تقديم فقه البدائل
 والحرص على ذلك، فالله أحل
 البيع وحرم الربا، حرم الزنا وأحل
 الزواج...، لا أن نقدم الإسلام على
 أنه جملة من الممنوعات.

المطلب الرابع: الثمار المرجوة
 من وراء هذا الدور
 ربط الناس بالله عز وجل.
 تقديم الإسلام ناصعا صافيا
 بربانيته وشموليته ويسره.
 التمكين للإسلام بالوعي.
 اختصار الزمان والاستفادة من
 الطاقات الكامنة في الأمة.
 تجنب التجارب الفاشلة في
 العمل الإسلامي، والإجهادات

الحق جملة واحدة: «لا تعجل يا بني،
 فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين،
 وحرمها في الثالثة، وإنني أخاف أن
 أحمل الحق على الناس جملة،
 فيدفعوه جملة، ويكون من ذا فتنة»⁽⁴⁹⁾.

- الابتعاد عن منطق الفتنة الذي
 يعظم الصغائر والدنيا فتحل الكبائر
 والرزايا، فإن منطق الفتنة أعمى
 وطريقها ذو اتجاه واحد⁽⁵⁰⁾. ومن
 مظاهرها: التعصب للرأي الشخصي،
 التعصب ضد المذاهب والأئمة،
 التعصب للفئة أو الحزب، الطعن
 والتجريح...⁽⁵¹⁾.

- اتصال الخطاب بالواقع؛ وللأسف
 البعض يعيشون في التاريخ الغابر،
 يعرف الكثير عن الفرق، لكن في
 واقعه هو هامشي، والوسطية أن نأخذ
 من الماضي ما نستلهم منه العبرة،
 ونعيش به الحاضر، ونستشرف به
 المستقبل، فالأنبياء عليهم الصلاة
 والسلام وهم أئمة الدعوة كل نبي
 عرض قضية التوحيد والإيمان من
 خلال الظواهر الظرفية التي عاشها

الخطاب الدعوي الإسلامي، وموضوع
كيفية التعامل مع الواقع والناس.

العناية بموضوع تصحيح
المفاهيم: الولاء والبراء، الجهاد،
التكفير، التبديع...

الاهتمام بهذه المواضيع في الدروس
والخطب وتجديد طرحها، ومنها: ثقافة
الاختلاف، التسامح والتصالح، الأخوة،
الحوار، الوطنية، الهوية...

المتكررة للأعمال الدعوية الكبرى.
تفويت الفرص على الأعداء
الماكرين.

تكوين الدعاة الذين يحسنون فهم
الإسلام وعرضه على الناس⁽⁵²⁾.

الخاتمة: - أسأل الله حسنها -

أقترح في الندوات التربوية
الاهتمام بـ: موضوع كيف يصل الإمام
إلى قلوب المصلين، وموضوع مقاصد

الهوامش

- (1) سورة الأنبياء/30.
- (2) أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، المحقق:
عبد السلام محمد هارون، ط.د، (دار
الفكر، 1399هـ-1979م)، ج.01، ص.21.
- (3) المرجع نفسه، ج.01، ص.28.
- (4) محمد علي الصلابي، الوسطية في
القرآن الكريم، ط.01، (الإمارات:
مكتبة الصحابة، القاهرة: مكتبة التابعين،
1422هـ - 2001م)، ص 15.
- (5) سورة البقرة/143.
- (6) ابن فارس، مقاييس اللغة، مرجع سابق،
- ج.06، ص.108.
- (7) عبد الله بن بيه، الإرهاب: التشخيص
والحلول، ط.01، (الرياض: مكتبة
العيكان، 1427هـ/2007م)، ص.100.
- (8) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب
القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي،
ط.01، (دمشق بيروت: دار القلم، الدار
الشامية - 1412 هـ)، ص.90.
- (9) ابن بيه، خطاب الأمن في الإسلام وثقافة
التسامح والوئام، ط.01، (الرياض:
أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية،

1419هـ/1999م)، ص.19.

(10) المرجع نفسه، ص.34.

(11) سعد بن صالح العبيسي، تقويم جهود وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في تعزيز الأمن الفكري، بحث مقدم للحصول على شهادة الماجستير، (الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 1429هـ/2008م)، ص.22.

(12) ماجد بن محمد بن علي الهذيلي، مفهوم الأمن الفكري، دراسة تأصيلية في ضوء الإسلام . ، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير، (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1432هـ/1433م)، ص.64.

(13) يوسف القرضاوي، كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالها، ط.03، (مصر: دار الشروق: 2011م)، ص.14.

(14) حديث صحيح، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط.01، (مؤسسة الرسالة، 1421هـ - 2001م)، رقم الحديث: 17634، ج.29، ص.181-182.

(15) سورة الأنعام/153.

(16) إسناده حسن، المرجع نفسه، رقم الحديث: 4142، ج.7، ص.207.

(17) الشاطبي، الموافقات، شرح: عبد الله دراز، ط.02، (دار الفكر العربي، 1395هـ/1975م)، ج.2، ص.163.

(18) البخاري، صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط.01، (دار طوق النجاة «مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي»، 1422هـ)، بَابُ مَا يُنْهَى مِنَ السَّبَابِ وَاللُّغْنِ، رقم الحديث: 6047، ج.08، ص.15.

(19) حديث حسن لغيره: أبو داود، سنن أبي داود، المحقق: شعيب الأرناؤوط - محمّد كامل قره بللي، ط.01، (دار الرسالة العالمية، 1430 هـ - 2009 م)، باب في الحَسَدِ، رقم الحديث: 4904، ج.7، ص.264 - 265.

(20) إسناده صحيح، ابن ماجه، سنن ابن ماجه، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد - محمّد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز

بصفر، أثر معلم القرآن في تربية طلابه
على الاعتدال، بحث مقدم في إطار:
ندوة أثر القرآن في تحقيق الوسطية
ودفع الغلو، ص. 216. 229.

(32) أنظر على سبيل المثال: جريدة البصائر:
السنة السادسة من السلسلة الثانية ،
العدد : 228، ص. 03. جريدة البصائر:
السنة الخامسة من السلسلة الثانية ،
العدد: 190، ص. 78.

(33) أنظر على سبيل المثال: جريدة البصائر:
السنة الثالثة، العدد : 115، ص. 210.

(34) أنظر على سبيل المثال: جريدة البصائر:
السنة الثانية من السلسلة الثانية ، العدد :
35، ص. 275. والعدد : 78، ص. 264.

(35) أنظر على سبيل المثال: جريدة البصائر:
السنة الثالثة، العدد : 106، ص. 135.

(36) أنظر على سبيل المثال: جريدة البصائر:
السنة الثالثة ، العدد : 121، ص. 335.

(37) مبارك بن محمد المليي، الاجتماع
للمولد النبوي، جريدة البصائر: السنة
الثالثة، العدد : 112، ص. 184.

(38) محمد الصالح بن عتيق، أحداث
ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية

الله، ط. 01، (دار الرسالة العالمية، 1430
هـ. 2009 م)، بَابُ قَدْرِ حَصَى الرَّمْيِ، رقم
الحديث: 3029، ج. 4، ص. 228.

(21) مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم،
المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط. د،
(بيروت: دار إحياء التراث العربي،
ت. د)، بَابُ هَلْكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، رقم
الحديث: 2670، ج. 04، ص. 2055.

(22) عبد الله بن بيه، الإرهاب: التشخيص
والحلول، مرجع سابق، ص. 83. 84.
(23) المرجع نفسه، ص. 09.

(24) المرجع نفسه، ص. 47/46.
(25) أنظر مع تصرف: يوسف القرضاوي،
ثقافة الداعية، ط. 10، (القاهرة: مكتبة
وهبة، 1416 هـ/ 1996 م)، ص. 04. 05.
(26) سورة هود/ 88.

(27) سورة ص/ 79. 81.
(28) خالد أبو شادي، ثورة الـ 90 يوما، ط. 01،
(القاهرة: دار طيبة، 2011 م)، ص. 186.

(29) ابن بيه، خطاب الأمن في الإسلام وثقافة
التسامح والوئام ، مرجع سابق، ص. 34.
(30) سورة النحل/ 125.

(31) أنظر في هذا الموضوع: عبد الله بن علي

الحديث: 6786، ج.8، ص. 160.
 (47) المرجع نفسه، بَابُ تَخْفِيفِ الْإِمَامِ فِي الْقِيَامِ، وَإِتِمَامِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، رقم الحديث: 702، ج.1، ص. 142.
 (48) المرجع نفسه، بَابُ أَخْذِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْأَعْيَانِ وَتُرْدِّ فِي الْفُقَرَاءِ حَيْثُ كَانُوا، رقم الحديث: 1496، ج.2، ص. 128-129.
 (49) الشاطبي، الموافقات، مرجع سابق، ج.02، ص.93-94.
 (50) ابن بيه، خطاب الأمن في الإسلام وثقافة التسامح والوئام، مرجع سابق، ص.43.
 (51) أنظر: يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، ط.04، (بيروت: الرسالة، 1415هـ، 1995م)، ص.120-132.
 (52) الهدف من 3 إلى 7، أنظرها عند: إبراهيم بودوخة، جهود الشيخ الغزالي في ترشيد الصحوة الإسلامية، مداخلة مقدمة ضمن الملتقى الوطني الأول: 22-23. 24 أفريل 2001م «منهج الشيخ محمد الغزالي في التجديد والإصلاح»، (قسنطينة: دار اليمن)، ص.212.

والحركة الوطنية بالجزائر، تقديم: أحمد بري، ط.د، (الجزائر: دحلب، 1990م)، ص.56-57.
 (39) ابن بيه، الإرهاب التشخيص والحلول، مرجع سابق، ص.107.
 (40) مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، بَابُ الْأَمْرِ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَشَرَائِعِ الدِّينِ، وَالِدُّعَاءِ إِلَيْهِ، رقم الحديث: 17، ج.1، ص.48.
 (41) سورة المائدة/78.
 (42) الإمام علي ؑ، نهج البلاغة، جمعه ونسق أبوابه: الشريف الرضي، شرحه وضبط نصوصه: محمد عبده، ط.01، (بيروت: مؤسسة المعارف، 1410هـ-1990م)، ص.622.
 (43) مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، بَابُ شَفَقَتِهِ ﷺ عَلَى أُمَّتِهِ وَمُبَالَغَتِهِ فِي تَحْذِيرِهِمْ مِمَّا يَضُرُّهُمْ، رقم الحديث: 2285، ج.4، ص.1790.
 (44) سورة البقرة/269.
 (45) سورة البقرة/185.
 (46) البخاري، صحيح البخاري، بَابُ إِقَامَةِ الْحُدُودِ وَالْإِتِّقَامِ لِحُرْمَاتِ اللَّهِ، رقم